



صدرت أخيراً عن دار مقاربات للنشر والتوزيع الأعمال الكاملة للشاعر التونسي الراحل محمد شكري ميعادي، جمعها وأعدّها للنشر عبدالله المتقي ومحمد بوحوش.

كشف الروائي الجزائري رشيد بوجدرّة أن روايته «الجزء العنيد» ستصدر مترجمة إلى الأمازيغية قريباً، ضمن مشروع لترجمة مجموعة من أعماله إلى الأمازيغية.



# كتب

## لأمارتين ودرويش وفلوبير وابن بطوطة يتقاطرون على القدس

● في «مذاق القدس» نصوص وكتابات في مدينة استثنائية ● جوهرة بشرية تلمع خلف الحصون المنهارة



مدينة الفجر البشري الساحرة (لوحة للفنانة مريم الزدجالي)

أنتم بالخصوص. لكن كم كل هذا مزيفاً! وكم هم يكذبون! وكم هو مكس، ومبرق، ومنذور للاستغلال، وللدعاية والزينة. القدس مدفنة عظام محاطة بالجدران. وأول شيء مثير للفضول صادفناه كان مجزرة. في ساحة مربعة، مغطاة بكومة من الأوساخ، ثمة حفرة كبيرة. في الحفرة دم متجمد، وبراز، وأمعاء سوداء أو سمرأء، كلستها الشمس. وكانت الروائح الكريهة تنبعث من كل مكان. وكان ذلك جميلاً مثل وساخة محصنة.

وفي قصيدة من وحى القدس بعنوان «الطفل الحكيم» للفلسطيني أنطون شماس الذي يكتب بالعبرية بقراً:

أنا هنا، بحسب منطق المدينة والحجر/ وشفتاي من حجر/ ويدي مرتختان/ بحسب منطقي الشخصي./ أسمع الليل حيث تنام هي عليه/ نعم، أسمع الليل/ واكتب قصائد مُرتجلة/ لأجل الصبي الميت./ هو واقف عند النافذة، من الجانب الآخر من الساحة./ قائماً بإشارات بفانوس دموعه.

لجمهر بدوي لا يكاد ينقطع. كان الظلام يلف المدينة، وكانت المصابيح مشتعلة في الدكاكين التي تباع الزيت والحبوب. وفي المعابر الضيقة نحن نشق طريقنا بصعوبة وسط المارة الملفوفين في برانيسهم. وقد شوشتنا أصوات الباعة وأجراس الإبل.

وفي الحادي عشر من شهر أغسطس 1850، وصل غوستاف فلوبيير إلى القدس إلا أنه لم يبد اهتماماً كبيراً بها، ولا بتاريخها، ولا بمعالمها. وقد كتب يقول «ها قد مرّت ثلاثة أيام على وجودنا في القدس. لكن ولا واحد من المشاعر ومن الأحاسيس التي كنت أتوقعها تجلّسني: لا حماس ديني، ولا إنكفاء للخيال، ولا كراهية لرجال الدين التي يمكن أن تكون مهمة على الأقل. أمام كل ما أشاهد وما أرى، أشعر أنني خاو مثل برميل فارغ. هذا الصباح، في كنيسة القيامة، كان يمكن أن يكون كذب مستثاراً أكثر مني. على من يقع الخطأ؟ على الله الغفور الرحيم؟ عليهم هم؟ أم عليّ أنا؟ عليهم على ما أظن، وعليّ أنا بدمهم، وعليكم

بعضها أزرق وفضي قليلاً. البعض الآخر بلون أبيض كامد. وثمة منها من يكون بلون وردي يصبح شاحباً عند الحواشي، ومنها من يكون بلون نار حامية وملتهبة مثل أشعة تنطلق من حريق، منقسمة، لكنها مع ذلك منسجمة من خلال ألوان متلاعبة وتدرجية».

وعن القدس التي زارها في ربيع عام 1894، كتب الرحالة الفرنسي بيار لوتسي يقول «بطء، وصلت إلى المحطة الرابعة لطريق الصليب، إلى ذلك الباب العدلي الذي غادر منه المسيح القدس، متوجهاً إلى مرتفع الجلجلة حيث صلب.. عليّ عندئذ أن أجتاز فضاء صاخباً ومظلماً بغض بالعرب والإبل، وفيه ألح من دون تمهيد بعد اليهود، وبعد وحدة المدينة السفلى. إنه 'بازار الزيت'، وهو حي من الأزقة الصغيرة المسقفة بكاملها بعناية الصليبيين، والذي أصبح اليوم مركزاً

تبقى القدس أكثر المدن العالمية عراقية، فيها تمازجت الأعراق والأديان والبشر من كل صوب، لتكون جوهرة البشرية المتألقة، ولا أدل على ألقها من تأثر كبار الشعراء والكتاب بها، منذ القدم كانوا يتهافون إليها ليكتبوا منبهرين بروحها العالية رغم ما عانتها على مر قرون من صراعات ودمار.

### حسونة المصباحي

◀ القدس محملة بتاريخ موسوم بالنزاعات والحروب بين الأديان. لذلك يتصارع فيها منذ القدم المتعاطشون للهيمنة

أديان ثلاثة. وقد تمّ التمهيد بأبيات لإليوت من قصيدته الشهيرة «الأرض الخراب»، وفيها يقول:

من هي تلك المدينة في ما وراء الجبال/ التي تتكسّر وتتشكل من جديد وتنفجر في الهواء البنفسجي/ حصونها المنهارة/ القدس أوثنا الإسكندرية/ فيينا لندن/ أطياف وأشباح.

### كتابات للقدس

وكان الفرنسي إرنست رينان قد زار القدس في أواخر ربيع عام 1861. ومن وحى تلك الزيارة كتب مؤلفه الشهير «حياة المسيح» الذي أغضب رجال الكنيسة باعتباره مؤلفاً يسيء إلى المسيحية، إذ أنه نفى أن يكون المسيح ابن الله، مكتفياً بوصفه بـ«الرجل الفريد». وزار الشاعر الفرنسي لأمارتين القدس في خريف عام 1832، إلا أنه لم يتمكن من دخولها بسبب الطاعون الذي كان متفشياً فيها. لذا اكتفى بالنظر إليها من بعيد ماخوذاً بضوئها العجيب. وقد كتب يقول «تركتنا خلفنا تلك الأطلال المتلاعبة بأشعة الصباح الأكثر ارتفاعاً: تلك الأشعة التي لا تلذّب في نور غامض ومُلتبس، وفي إشعاع ساطع وكوني. مثلما هو الحال في الغرب. إنها أشعة تنطلق من أعلى الجبال التي تخفي عنا القدس، مثل سهام من نار مختلفة الألوان، ومتجمعة في الوسط، ثم متفرقة في السماء كلما تابعت.

□ كتاب «مذاق القدس» كتاب صغير الحجم، جمّ الفائدة، إذ يحتوي على نصوص لكتاب عرب هم جبرا إبراهيم جبرا، محمود درويش، أنطون شماس، وإدوارد سعيد، وأجانب هم أرنست رينان، غوستاف فلوبيير، لأمارتين، بيار لوتسي، هارمان مالفيل، ويهود نذر عاموس عوز، أميشاي، يوشوا، وآخرون. كما يحتوي على نصوص لرحالة قدامى من العرب، مثل ابن بطوطة والمقدسي واليعقوبي، وأوروبيين مثل توركاتو تاسو.

### المدينة الموحية

في مقدمة الكتاب، الصادر في طبعة أنيقة عن دار «ماركور دو فرانس»، نقرأ ما يلي «عظمة هذه الحاضرة، والصحراء التي تلفها من كل الأنحاء، واللون الوردي وحنان أحجارها لما تغرب الشمس، والصفاء المخيف قليلاً لسماؤها، وليليتها المكلفة بالنجوم والتي لا تضاهيها في ذلك أي مدينة أخرى، كل هذا الجمال، شيء قليل بالنظر إلى لغز الضوء وشبقيته المفارقة، والمتشعبة، والمُرتجة. إن سعادة هذه المدينة تكمن في تكتمها بهذا الضور الذي تظفّر رويدا رويدا، وبلا علم منا، وببطء قريباً».

ويضيف كاتب المقدمة قائلاً «هذه المدينة لا تسلّم نفسها لنا من أول نظرة، وفي أول خطوة نخطوها في شوارعها. علينا أن نجعلها تمسك بكل حواسنا، وتجبرنا على أن نترك أفكارنا على سجيتها، وأن نحرر نظرتنا من كل ما نعرف، أو نحن نعتقد أننا نعرف، وأن نتغاضى عن تيقظنا، ونهمل انتباهنا، وأن نسمح لأنفسنا بنسيان تاريخها».

ويشير صاحب المقدمة إلى أن القدس محملة بتاريخ موسوم بالنزاعات والحروب بين الأديان. لذلك أصبحت فيها الجريمة شرعية وعادية بالنسبة لجميع من يجعلون من العقائد الدينية وسيلة لتعريضهم للهيمنة. والتجول في القدس يعني التجول في تاريخ

## رواية في ألمانيا بطلها البرد

لاستعادة تلك الأوهام التي نقدها الواحد تلو الآخر، في طريقنا إلى الوهم.

تدور أحداث هذه الهزلية في مدينة فرانكفورت الألمانية، وتقوم كلها على حوارات متعددة ومتداخلة، هناك دائماً نص أو نصوص مرئية وأخرى مضمرة، بطلها الوحيد هو البرد، البرد القارس، المنفلت من عقله، الذي يلقي بظلاله على الشخصيات المختلفة، ويعبر عن نفسه في لغة مقتضبة، شذرية، وفي الآن نفسه، مغرقة في الواقعية. برد يشتمل في الأعماق، برد هو تقيض الوهم.

ونذكر أن رشيد بوطيب كاتب وباحث مغربي من عام 1973 يقيم في ألمانيا، درس الأدب العربي والعلوم

أمال وأحلام الكثيرين بالهجرة، التي تحمل وجهها آخر للوهم والأوجاع والاعتراب. فعن روايته الصادرة عن منشورات المتوسط في إيطاليا يقول الناشر إنها «هزلية فلسفية أكثر منها رواية، أو هي هزلية اختار لها الكاتب قالباً روائياً، ربما لأنه يفتح أمام الكاتب أفقاً أوسع للتفكير أو بالأحرى للتجربة».

شخصيات مفهومية، لا ريب، تلك التي نلتقيها هنا، وفي الآن نفسه، شخصيات من لحم ودم، هاجرت أو دُعيت إلى الهجرة، لأنه لا وطن لها ولا حق لها في انتساء. هاجرت، محملة بأوهام كثيرة، وما هذا النص سوى محاولة



◀ شخصيات مفهومية، لا ريب، تلك التي نلتقيها هنا، وفي الآن نفسه، شخصيات من لحم ودم، هاجرت أو دُعيت إلى الهجرة

الإسلامية في جامعة محمد الخامس في الرباط، وحصل على الإجازة لينتقل بعدها إلى ألمانيا، ويدرس الفلسفة وعلّم الاجتماع والعلوم السياسية في جامعة ماربورغ. حصل بوطيب على الدكتوراه في الفلسفة من جامعة فرانكفورت وصدر له كتاب بعنوان «رسالة إلى مفكر هرم.. قراءات في الفلسفات الحديثة»، عن دار توبقال للنشر وله كتب أخرى بالألمانية والعربية.

## الثقافة الأمازيغية في المغرب

□ ميلانو (إيطاليا) - تفاقمت ظاهرة الهجرة خاصة من بلدان الجنوب إلى الضفاف الشمالية للمتوسط، شباب ونساء وعائلات من مختلف الجنسيات يحاولون الوصول إلى أرض الحلم كما يرونها: أوروبا، في رحلات غالبيتها لا تصل، ومصيرها قاع البحر. وفي المقابل هناك وضع آخر لما يعتبر المهاجرون أرض الأحلام، وضع غير ما يتخله المهاجر شرعياً كان أو خلسة، حيث المعاناة تبلغ أشدها في واقع بارد يحاصر المهاجرين فيه البرد والفقر والتهميش. وكثيرة هي الأعمال الروائية التي تناولت واقع الهجرة، لكن بندر أن يتناول أحدهم هذا الحال النابس بنفس ساخر كما فعل رشيد بوطيب في روايته الجديدة. أصدر الروائي المغربي رشيد بوطيب روايته الجديدة «الحلم الألماني» من واقع

□ الرباط (المغرب) - تم مؤخرا بمقر المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية بالرباط تقديم مؤلف جماعي موسوم بـ«الثقافة الاماادية بالمغرب.. تعبيرات فنية اامازيغية»، بحضور ثلثة من الباحثين والأساتذة الامازيغيين.

ويروم هذا المؤلف الجماعي الصادر باللغة الفرنسية، والذي يقع في 320 صفحة، وهو من منشورات «كرواسي دو شومان - مفترق الطرق»، بتنظيم الراسمال الاماادي للثقافة المغربية في بعدها الامازيغي. وفي كلمة بالمناسبة، قال أحمد بوكوس، عميد المعهد الملكي للثقافة الامازيغية، إن هذا الكتاب يأتي من أجل الاحتفاء بجانب من جوانب الثقافة المغربية والمتمثل في الثقافة الامازيغية في بعدها اللامادي، كما أنه يمثل قيمة مضافة في سياسة النشر لأنه يتضمن تعبيرات ثقافية لامادية من المغرب.

وأضاف بوكوس أن هذا النوع من الإنتاج مطلوب للغاية من طرف جمهور مثقف هو في حاجة إليه، مذكراً بأن المعهد تعامل في هذا الشأن، مع أساتذة متخصصين في فنون السينما والموسيقى والرقص والمسرح وغيرها.

من جهتهم، أبرز مؤلفو الكتاب، وهم نوال بن إبراهيم وفاطمة بوخريص وأحمد عيدون والحبيب فؤاد ومولاي إدريس الجعدي، أن هذا المؤلف يصون التراث اللامادي، ويعنى باستكشاف المكونات العميقة لهذا التراث، مشيرين إلى أن الثقافة الأمازيغية ضاربة في عمق التاريخ وقد حافظت على خصوصيتها. وشددوا على أن الكتابة، برعاية مؤسسة وصية، مهمة للغاية في حفظ التاريخ وصيانتها، مبرزين غنى الثقافة الأمازيغية وتأثيرها على أشكال فنية مختلفة.

لمراسلة المحرر culture@alarab.co.uk

## عودة إلى أيام مدريد

مونتايث، وهكذا تحقق ما وصفه بعضهم بالتحول النوعي، أي أنني لم أحمل تجربتي الإسبانية عواطي أو قراءاتي أو تأثير النشرات السياحية والرحلات السريعة المرعبة، إلى هذه المدينة الإسبانية أو تلك، فقد كنت قسئالياً في القشتاليين، أندلسياً في الأندلسيين وغربياً في الغجر.

وما أود قوله هنا، إن ما ذكرته بشأن تجربتي الإسبانية، ليس هو نتاج وعي الحاضر، بل هو نتاج الوعي الذي كتبت به قصائد المرحلة الإسبانية، فعلى سبيل المثال، حين كتبت قصيدة «ولادة» لم أكتب عن ولادة بنت المستكفي، بل عن امرأة معاصرة، تتمثل في سلوكها ومواقفها، سلوك ومواقف ولادة الأندلسية، وحين كتبت قصيدتي عن استشهاد غسان كنفاني، استحضرت من خلاله أحد شهداء الحرب الأهلية الإسبانية.

ويبدو لي، أن ما تحدثت عنه، بشأن تجربتي في أيام مدريد، بما كانت لها من خصوصية فكرية ومن ثم جمالية، هي التي منحتها أهميتها واستمرارية حضورها.

وأنا في الثلاثين من العمر، في ذروة تفتحي الذهني والروحي والجسدي، وفي ذروة انفتاح تجربتي الشعرية على أفاق التجربة، لذا فقد شكلت أعوامها الثلاثة، انعطافة تاريخية في الحياة والشعر، وصار من ثوابت درسي تجربتي الشعرية، القول، بأنها أرخت لمرحلة جديدة تختلف عمّا سبقها.

وقلت أيضاً: ما ميز تجربتي الإسبانية عن شعراء عرب كثيرين أقاموا في إسبانيا وكتبوا عنها، أنني لم أكن أسير التاريخ الأندلسي الجميل، ولم أقبل امرأة، على أنني أقبل طارق بن زياد، كما فعل نزار قباني.

وفي حوار لي مع الشاعر الفلسطيني هشام عودة، نشر في كتابه «الشمعة والدرويش» قلت: لم تكن قصيدتي التي كتبتها في إسبانيا، قد حملت مقوماتها، لغة وموقفاً ورؤى إبداعية، قبل كتابتها أو قبل إقامتي في إسبانيا، بل كانت من عمق تجربتي الحياتية فيها، وهذا ما أشار إليه المستعرب الإسباني الكبير بيدرو مارتينث

الثقافية فيها، وكان عبدالله حمادي من بين أكثر المشاركين فيها حيوية ومثابرة، وإذ قال لي «لقد ترجمت إلى العربية دراسة جديدة تناولت شعرك، كتبها أكاديمي إسباني»، فأجبت «لم أطلع على هذه الدراسة، لا باللغة الإسبانية ولا في ترجمتها إلى اللغة العربية»، وكنت أقول «حبذا لو أطلعني عليهما معاً»، لكنني ترددت، إذ لم يكن المقام مناسباً لما كنت أفكر به من قول.

وحين تفضل د. حمادي، باستذكار أيام مدريد في كلمته التي ألقاها حيث حياني فيها ورحب بي، قال لي أحد الحاضرين وهو شاعر جزائري شاب «إن الموريسكيين القدامى يواصلون ملاحظتك حيث تكون، أيها الموريسكي الجديد».

إن هذا التعليق، يعيدني إلى تجربتي الإسبانية التي ظلت تلاقني فعلاً، في الكثير مما يقال عن تجربتي الشعرية، أو السيرية، كما في الكثير من الحوارات الثقافية، رغم أنها صارت بعيدة زمنياً. وكنت أقول: كانت إقامتي في إسبانيا



حميد سعيد

كاتب عراقي

□ خلال مشاركتي في مهرجان ولاية البلدة الشعري بالجزائر، التقيت الشاعر والأكاديمي الجزائري عبدالله حمادي، بعد انقطاع دام زمناً طويلاً، وكنا على علاقة ثقافية وثيقة في سبعينات القرن الماضي، إذ كنت أقيم في مدريد وأعمل ملحقاً صحافياً في سفارة العراق، بينما كان هو يعد للدكتوراه في جامعة مدريد. إذ كنا في صباح كل يوم أحد نلتقي في مقهى بشارع الخنزاكسيمو، يسبقنا إليه د. محمود صبح، وبما أنسم به من حيوية ونشاط، حول تلك اللقاءات إلى ندوة ثقافية أسبوعية، يشارك فيها مثقفون عرب وطلبة دراسات عليا، ويحضر معنا أحياناً مستعربون إسبان، وطلبة من الذين يتخصصون بدراسة اللغة العربية وآدابها. وما إن التقينا على هامش المهرجان، حتى عدنا إلى تلك الأيام وإلى اللقاءاتنا

